

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[395] أجل°، إنني أرى النعم جميعاً من لطفه، فلحمي وجلدي وطعامي وشرابي، كل ذلك من بركاته!... ولست مشمولاً بنعمة في حال الصحة فقط، بل في كل حال (وإذا مرضت فهو يشفين). ومع أن المرض أيضاً قد يكون من الأ، إلا أن إبراهيم نسيه إلى نفسه رعاية للأدب في الكلام... ثم يتجاوز مرحلة الحياة الدنيا إلى مرحلة أوسع منها... إلى الحياة الدائمة في الدار الآخرة، ليكشف أنه على مائدة الأ حيثما كان، لا في الدنيا فحسب، بل في الآخرة أيضاً. فيقول: (والذي يميني ثم يحيين). أجل، إن موتي بيده وعودتي إلى الحياة مرة أخرى منه أيضاً.. وحين أرددُ عرصات يوم القيامة اعلقُ حبل رجائي على كرمه: (والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين). وممّا لا شك فيه أن الأنبياء معصومون من الذنب، وليس عليهم وزر كي يُغفر لهم... إلا أنّه - كما قلنا سابقاً - قد تعدّ حسنات الأبرار سيئات المقرّبين أحياناً، وقد يستغفرون أحياناً من عمل صالح لأنهم تركوا خيراً منه... فيقال عندئذ في حق أحدهم: تَرَكَ الْوَلَى. فإبراهيم(عليه السلام) لا يعوّل على أعماله الصالحة، فهي لا شيء بإزاء كرم الأ، ولا تُقاس بنعم الأ المتواترة، بل يعوّل على لطف الأ فحسب، وهذه هي آخر مرحلة من مراحل الإنقطاع إلى الأ!... وملخّص الكلام أن إبراهيم(عليه السلام) من أجل أن يبيّن المعبود الحقيقي يمضي نحو خالقية الأ أولاً، ثم يبيّن بجلاء مقام ربوبيته في جميع المراحل: فالمرحلة الأولى مرحلة الهداية. ثم مرحلة النعم المادية، وهي أعمّ من إيجاد المقتضي والظروف الملائمة أو